

الحركة السنوسية ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي في السودان الأوسط (تشاد)

جامعة السودان المفتوحة

أ.د. محمد أبو محمد إمام

قسم التاريخ - مدرسة الدكتوراه - جامعة أنجمينا

أ. عبد العزيز أبكر آدم

المستخلص:

تعود الصلات الليبية التشادية (السودان الأوسط) إلى عصور ضاربة في القدم أشار إليها المؤرخون القدماء، مثل المؤرخ اليوناني (هيردوت) وكذلك مؤرخي الرومان. وعلى الرغم من أن الصحراء تشكل حاجزاً طبيعياً بين المنطقتين إلا أن التواصل بينهما لم ينقطع بسبب هذه الصحراء، وازدادت هذه العلاقات قوة ومتانة بعد انتشار الإسلام في الشمال الأفريقي، وفي أفريقيا جنوب الصحراء، فقد اجتازت القوافل التجارية الصحراء تحمل البضائع والسلع إلى حوض بحيرة تشاد مصحوبة بالثقافة الإسلامية واللغة العربية. تتناول هذه الدراسة دور الحركة السنوسية في محاربة الاستعمار الفرنسي في تشاد في العقد الأول من القرن العشرين، وتستخدم الدراسة المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل. كانت كثير من القبائل الليبية قد هاجرت واستقرت في الأراضي التشادية قبل دخول الاستعمار الفرنسي في تشاد وتحديداً في منطقة كانم، وجاءت هجرات هذه القبائل الليبية لشمال الأراضي التشادية نتيجة لسوء الإدارة العثمانية وبطشها بالقبائل الليبية في جبابية الضرائب. وكان من أشهر القبائل المهاجرة أولاد سليمان، وورفلة، والمغارية، والقذاذفة وقد وجدوا ملاذاً آمناً في منطقة شمال التشاد وتداخلوا مع القبائل التشادية هناك وصاروا جزءاً لا يتجزأ من أهل البلاد. ولما نشأت الحركة السنوسية وأنشأت زواياها في الجنوب ثم انتقلت إلى الكفرة وبعد وفاة مؤسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي، نقل خلفه محمد المهدي مقر الدعوة إلى منطقة قرو داخل الأراضي التشادية، وقد وجدت الدعوة سنداً كبيراً من هذه القبائل الليبية ومن أهل البلاد وأنشئت الزوايا السنوسية على امتداد الصحراء. ولما تقدم الاستعمار الفرنسيين نحو تشاد ووقفت السنوسية ضد توغلها في الأراضي التشادية، وقاد رجالها حروباً طاحنة بالتعاون مع المقاومة التشادية وخاضوا معارك عديدة في أنقوري، وبئر علالي وغيرها من المناطق واستشهد عدد كبير من رجال المقاومة السنوسية إلى جانب رجال المقاومة التشادية التي لم تجد بداً من الاستسلام أمام الغزو الفرنسي نظراً لعدم التكافؤ بين الطرفين في العدة والعتاد. خلصت الدراسة إلى أن الحركة السنوسية استطاعت أن تربط بين شعوب أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، وقطعت الحواجز الطبيعية بتعمير الصحراء بزواياها، كما أنها وحدت جهود المقاومة الوطنية التشادية للوقوف في وجه المستعمر الفرنسي ودعمت المقاومة الوطنية بالسلاح والرجال.

الكلمات المفتاحية: تشاد، السنوسية، الاستعمار

The Role of Senussi Movement in Combating French Colonialism in Central Sudan (Chad)

Mohamed Abo Mohamed Emam – Open University of Sudan

Abdel – aziz Abakar Adam

Abstract:

The Libyan-Chadian relationships go back to ancient ages referred by ancient historians such as the Greek historians(Herdots) as well as the Roman historians. Although desert was a natural barrier between the two areas, but the connection between them did not stop.The connections between the two region's became stronger and more durable after the spread of Islam in North Africa and Sub-Sahara Africa. Trade caravans crossed the Saharacarrying goods and merchandise to the lake Chad basin, accompanied by Islamic culture and Arabic Language.This study deals with the role of the Senussian movement in facing French invation to Chad during the first decade of the 20th Century.The study uses the historical method which based on description and analysis.Before the French colonization entered Chad, many Libyan tribes migrated to Chad and settled in the Chadian lands, especially in Kanem region. The emigration of these Libyan tribes came due to the Ottoman mismanagement rule in Libya, and it's brutality in collecting taxes . The Libyan tribes interfered with Chadian tribes, and became an integral parts of the citizens.When the senussi movement arose in Libya then moved its headquarters from Alkufra to Quro in Northern Chad, they found great support from these emigrating tribes alongside the Chadian citizens, and they all stood against the French invasion in Chadianland, and fought many battles with the French armies. A large number of Senussian were martyred in defense of the Chadian lands besides the citizens.The study concluded that the Senussi movement had connected the peoples of Sub-sahara Africa and North Africa, it also removed the barriers of the desert by establishing of what was known as Alzawaya, in addition to unifying the efforts of the Chadian national resistance to face the French invaders,and supporting them with arms and men.

Keywords: Chad, Senussi, colonialism

المقدمة:

لا شك أن الصلات الليبية مع بلاد السودان الأوسط (تشاد) صلات قديمة تعود إلى عصور تاريخية عميقة الجذور، ولم تقف الصحراء عائقاً أمام التواصل بين البلدين. ولما جاء الإسلام وانتشر في الشمال الأفريقي، انتقلت الدعوة الإسلامية أيضاً إلى أفريقيا جنوب الصحراء، واليهود بحيرة تشاد كما ازدادت العلاقات متانة ورسوخاً واجتازت القوافل التجارية الصحراء تحمل السلع والبضائع جيئةً وذهاباً وصحب هذه القوافل العلماء والدعاة يعلمون الناس ويدعونهم إلى دين الله، ويحفظونهم القرآن، وينشرون الخير بينهم.

كانت هناك بعض القبائل الليبية التي هاجرت إلى منطقة شمال تشاد واستقرت في منطقة كانم، وانصهرت مع القبائل التشادية التي تقطن في المنطقة، وصارت جزءاً أصيلاً من أهل البلاد. وكانت هجرة هذه القبائل نتيجة للضغوط التي مارستها السلطات العثمانية التي كانت تحكم ليبيا في عهد الحكم القرمانلي، إذ فُرضت ضرائب باهظة على هذه القبائل مما جعلها تهاجر إلى شمال تشاد هرباً من البطش بها، وقد وجدت قبولاً وترحاباً من أهل تشاد، وطاب لهم المقام هناك نظراً للتشابه الكبير بين بيئة هذه القبائل، والبيئة التي هاجروا إليها. ولما نشأت الدعوة السنوسية، وانتقلت في مرحلة من مراحلها من الكفرة إلى منطقة قرو في شمال تشاد وجدت سنداً ووعناً كبيراً من هذه القبائل الليبية، وكانت خير معين للسنوسية في نشر الدعوة في هذه المنطقة حيث انتشرت زواياها في الصحاري والواحات في شمال تشاد. وعندما بدأ الزحف الاستعماري الفرنسي نحو الأراضي التشادية وقفت الحركة السنوسية سداً منيعاً أمامها وقامت التوغل الفرنسي في البلاد بكل ما أوتيت من قوة جنباً إلى جنب مع المقاومة الوطنية التشادية.

أهداف الدراسة:

- تهدف هذه الدراسة إلى إبراز العلاقات التاريخية بين الممالك التشادية مع القبائل الليبية.
- إلقاء الضوء على دور المقاومة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي بالتعاون مع الحركة السنوسية.
- توضيح مجالات التعاون في المحاور (السياسية والاقتصادية والثقافة والاجتماعية) بين المقاومة الوطنية والحركة السنوسية أثناء مقاومة المستعمر الفرنسي.
- إبراز دور منطقة الجنوب الليبي في المقاومة الوطنية للفرنسيين في تشاد أثناء الاستعمار
- إظهار دور الشخصيات الوطنية والإقليمية التي أبليت بلاء حسناً في الدفاع عن مكتسبات الوطن والأرض والعرض والدين وبذل كل غال ونفيس في سبيل تحقيق ذلك.

الصلات التاريخية بين حوض بحيرة تشاد وليبيا:

إذا أردنا أن نتحدث عن الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا فليس من السهل إعطاء صورة مفصلة عن هذه الصلات بين هاتين المنطقتين خلال مراحلهما السابقة للاستعمار الأوروبي للمنطقة وذلك لسببين رئيسيين أحدهما جغرافي والآخر تاريخي:

ففيما يتعلق بالجانب الجغرافي فإن الصحراء الكبرى كما هو معلوم قد قسمت أفريقيا منذ العصور القديمة إلى قسمين رئيسيين هما أفريقيا شمال الصحراء وتعرف ببلاد البيضان وأفريقيا جنوب الصحراء وتعرف ببلاد السودان. والحقيقة التاريخية التي يجب الإشارة إليها هنا هي أن أفريقيا بلاد البيضان من الناحية الجغرافية تكاد تكون منطقة واحدة وكذا الأمر بالنسبة لإفريقيا بلاد السودان فهذه الحقيقة حسب الاعتقاد تعكس على المدى البعيد صعوبة إعطاء صورة واضحة وجليّة عن الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا، فهاتان المنطقتان اللتان لم تتشكلا بحدودهما الحالية إلا في عهد الاستعمار الأوروبي للمنطقة⁽¹⁾.

أما فيما يتعلق بالجانب التاريخي فإن منطقة ليبيا الحالية كانت تقع ضمن منطقة أفريقيا بلاد البيضان ولها تاريخها المعروف منذ العصور القديمة عند الأمم السابقة كالفينيقيين اليونانيين والرومانيين والمصريين وذلك أثناء سيطرتهم تبعاً على المنطقة وعندما جاء الإسلام سجل الكتاب المسلمون تاريخ هذه المنطقة في العهد الإسلامي بصورة تكاد تكون مفصلة⁽²⁾. وكما هو معلوم فإن منطقة حوض بحيرة تشاد على النقيض من ذلك، تقع في منطقة أفريقيا بلاد السودان، فإن تاريخها يعتريه بعض الغموض قبل الإسلام لأنه لم يعثر على وثائق مكتوبة يمكن الاعتماد عليها، باستثناء بعض المعلومات المتناثرة في الكتب هنا وهناك، وعلى الرغم من ذلك فسوف نحاول إلقاء الضوء على تلك الصلات التي ربطت طرفي القارة ببعضها البعض.

الصلات التاريخية بين منطقة حوض بحيرة تشاد وليبيا قديماً:

إن المتتبع للأحداث التاريخية قديماً قد يجد بلا شك عمق الصلات التاريخية بين سكان القارة وبالذات أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، فهي قديمة قدم الإنسان الذي عمر هذه المنطقة رغم صعابها وجفافها، وأن ما يقال عن الصحراء بأنها شكلت حاجزاً طبيعياً قسم أفريقيا إلى نصفين هو أمر صحيح جغرافياً لكنه لم يكن حائلاً طبيعياً يحد من تواصل الإنسان في المنطقة إذا كان الأمر كذلك فليس هناك ما يدعو إلى التحفظ من القول بأن الصلات التاريخية التي ربطت بين المنطقتين صلات قديمة والدليل على ذلك كتب الأقدمين⁽³⁾ أمثال المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وزار ليبيا في تلك الفترة، ويعتبر أول من كتب عن تاريخ ليبيا القديم وعلاقاتها بالمناطق المجاورة - بوركينا فاسو وتبستي - والتي تقع الآن ضمن الأراضي التشادية حيث قال أن الليبيين يغزون الأثيوبيين⁽⁴⁾ وهم القوم الذين يسكنون تبستي⁽⁵⁾. وتلك إشارة واضحة إلى تفاعل المنطقتين منذ القدم على وجه العموم وتشاد وليبيا على وجه الخصوص. أما فيما يتعلق بالرومان فيمثلهم المؤرخ استرابو الذي عاش ما بين 66 ق. م - 24 م ويعتبر أول الكتاب الرومان الذين تحدثوا عن دولة الجرامنت فقد سجل ذلك في كتابه المسمى بالجغرافيا، حيث أشار إلى دولة الجرامنيت وسكانها ومناطق توزيعها وعلاقتها مع المناطق المجاورة لها، و يقول: سكان الجرامنيت يوجدون جنوب فزان وشمال الأثيوبيين⁽⁶⁾.

لا شك أن هذه المعلومات تعطينا مؤشراً لوجود الصلات التاريخية بين المنطقتين منذ العصور القديمة ليس هذا فحسب، بل هناك أبحاث لعلماء كشفت العديد من الرسومات التي

ترجع إلى عصر ما قبل الميلاد منحوتة في جبال أنيدي تبستي وكانت متشابهة مع آثار منطقة بلاد البيضاء⁽⁷⁾.

الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا في العصر الإسلامي:

إذا أردنا أن نتحدث عن الصلات التاريخية بين تشاد وليبيا في عصر ما بعد الدعوة إلى الإسلام فيتحتم علينا أن نتحدث عن كيفية دخول الإسلام في منطقة السودان الأوسط وخاصة حوض بحيرة تشاد حيث سلك الفاتحون نفس الطرق التي سلكها الأقدمون للتوغل عبر الصحراء إلى مجاهل أفريقيا. أن الإسلام دخل هذه المنطقة في زمن مبكر جدا في القرن الأول الهجري السابع الميلادي وبالتحديد عام ٤٦هـ / ٦٦٦م مقلًا من إقليم فزان الذي افتتحه المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على يد القائد عقبة بن نافع الفهري ويحتل إقليم فزان وكوار مكانة هامة بالنسبة لتاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، فهما يكونان الطريق الأوسط الذي كان الناس يعبرون بواسطته الصحراء الكبرى⁽⁸⁾. والحقيقة أن السودان الأوسط كاد يكون في الماضي السحيق إقليمًا واحدًا قامت عليه حضارات ذات شأن عظيم، كان يربط بينها شريان من الطرق البرية، وعن طريق درب الأربعين وكوار وفزان جاء الإسلام إلى السودان الأوسط وكانت القوافل تشرع من القيروان إلى طرابلس ومنها إلى مرزق، ثم إلى البلماء عاصمة إقليم كوار، ومنها إلى انجيمي عاصمة مملكة كانم، وعندها يلتقي بالطريق الشرقي الهابط من سيناء بمصر ووادي النيل ثم طريق الأربعين المار بدافور ووادي، كما أن سلاطين مملكة وداي احتفظوا بعلاقات سياسية واقتصادية قوية مع مناطق ليبيا منذ القدم⁽⁹⁾. ازدادت هذه الصلات أهمية خاصة في الجانب التجاري منها في عهد الحكم القرمنلي علي ليبيا (١٧١١-١٨٣٥م) ويبدو أن طريق وداي بنغازي قام بدور حيوي وفعال في تجارة القوافل منذ اكتشافه، وازدادت أهميته بعد أن تنامت قوة وداي في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ويذكر أن مملكة وداي قد صدرت إلى بنغازي عام ١٨٥٠م حوالي (١٥٠٠) من الرقيق و(٤١٠٠) كيلوغرام من العاج، وبيعت هذه السلع بما يعادل ٣٠٠ ألف فرنك فرنسي، واستوردت في نفس الوقت الأقمشة القطنية والحريية، والأسلحة النارية، والسكر، والشاي، بما يعادل القيمة نفسها⁽¹⁰⁾. ويعتبر القرن التاسع عشر مرحلة مهمة في تاريخ التواصل السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يربط بين تشاد وليبيا وقد ظهر الليبيون ولأول مرة على مسرح الأحداث في حوض بحيرة تشاد، عندما تولى الشيخ محمد الأمين الكامي السلطة في كانم عام ١٨٠٦م وقد تمثل ذلك في الحملات العسكرية التي سبها يوسف باشا لنصرة الشيخ محمد الأمين الكامي في حربه ضد الفولانيين، وكانت أهم هذه الحملات حملة محمد المكي حاكم فزان ١٨١٧م، وحملة مصطفى الأحمر ١٨٢١م، وحملة عبدالجليل غيث⁽¹¹⁾. وهناك أحداث أخرى أدت إلى توالي الهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد، والاختلاط والتواصل مع التشاديين وهو الضغط العثماني، والتدفق الأوروبي واختلاف العشائر فيما بينها وقد برزت أهمية هذه المنطقة بالنسبة للأوروبيين باكتشاف الثروات التي وجدت في أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها. هذه الأحداث وغيرها جعلت تشاد وليبيا على تواصل مستمر بين شعوبها عبر عصورها المختلفة⁽¹²⁾.

أ/ الصلات التجارية والاقتصادية بين تشاد وليبيا قبل الاستعمار:

إن المتتبع للصلات التاريخية بين منطقة حوض بحيرة تشاد وليبيا يلاحظ أن العلاقات الاقتصادية والتجارية كانت عنصراً مهماً للتواصل بين شعوب هذه المنطقة، وقد شمل هذا التبادل الاقتصادي مواد أولية للبلدين، أو البلاد المجاورة. ويتمثل هذا النشاط في القوافل التجارية التي كانت تسيير بين المنطقتين، وقد كان لها دور مهم في تطوير العلاقات بين الشعبين، فكانت تصدر الكثير من السلع التجارية التي تأتي من الدول الأوروبية انطلاقاً من طرابلس، ودرنة، وبنغازي، والكفرة، وجالوا، مثل: الملابس، والأقمشة، والأصباغ، وأدوات الزينة، والأسلحة، والسكر، والشاي، والبن، والإبر، والخرز، والقذور، والورق، والسبح، والأواني الزجاجية، والعلطور، والأحذية، والأواني النحاسية، والشالات، والسروج، والنحاس الأصفر، والخناجر، ويصدر إليها من الدول الأفريقية العاج، والإبل، وريش النعام، والجلود المدبوغة، بالإضافة إلى الرقيق. وتستخدم الجمال في نقل هذه البضائع والأفراد إلى مجاهل أفريقيا، وذلك لتحملها لصعاب الطرق الصحراوية القاسية وأهم هذه الطرق:

1. طرابلس-سوكنة-مرزق- تاجوراء - بلما- بحيرة تشاد: ويعرف بطريق برنو.
2. طرابلس - غدامس - غات - زندر - كانو: ويعرف بطريق وسط السودان.
3. بنغازي - جالو - أوجلة - الكفرة - أبشة بلاد السارا ويعرف بطريق وداي⁽¹³⁾.
4. وهناك طريق آخر اكتشف في وداي في عهد السلطان صابون ينطلق من وداي درنة

فزان

وقد تحدث عن هذا الطريق الشيخ ابن عمر التونسي عند مجيئه إلى وداي وقد أرسل السلطان صابون عن طريقه قافلة إلى ليبيا بقيادة الشريف الفاسي وقد صحبه في هذه الرحلة محمد بن عمر التونسي⁽¹⁴⁾.

وقد ظل طريق بنغازي - وداي ذا فعالية تجارية حتى نهاية القرن التاسع عشر فقد ورد في تقارير القنصلية الإنجليزية ببنغازي أنه قد تحركت بين عام ١٨٩٦ - ١٨٩٧م سبعة عشرة قافلة من بنغازي إلى وداي، خمسة عشر منها يملكها تجار من بنغازي، وأن عدد الجمال في القوافل يبلغ (٥٨٢) جملاً أما القافلتان المتبقيتان فمملوكتان لقبيلتي الزوية والمجابهة بحيث يملك المجابهة في هاتين القافلتين (٥٥٠) جملاً والزوية يملكون (١٠٠) جملاً وهذا يدل على الحجم الكبير للتبادل التجاري بين المنطقتين في ذلك الوقت⁽¹⁵⁾. وقد استفاد سكان هذه المناطق من هذه القوافل التي تمر بهذه الطرق فائدة كبيرة، وكذلك الممالك والسلطنات التي كانت تصدر وتستورد السلع وقد اهتم السلاطين اهتماماً خاصاً بهذه القوافل، ودلت المراسلات المتبادلة بين سلاطين برنو ووداي وبعض زعماء القبائل الليبية التي تقوم بالتجارة، على أهمية هذه الطرق، والمحافظة عليها، ويظهر ذلك في الرسالة التي كتبها السلطان محمد شريف (١٨٣٥ - ١٨٥٨م) سلطان وداي إلى الشيخ يونس، وهو من كبار زعماء المجابهة والتي يقول فيها: «أتنا من طرف سيادتكم قافلة فرحنا بها غاية الفرح وسرنا بها غاية السرور وظهر لكم منا المحبة والطريق بيننا وبينكم سهل كما تحب وترضى»⁽¹⁶⁾. ويذكر الحنديري بأن أولاد سليمان قد سيطروا منذ منتصف القرن التاسع عشر على

طريق طرابلس برنو وذلك نتيجة لتحالفهم مع سلاطين برنو بهدف تأمين الطرق وخاصة طريق الملح مع كوار، ودخلوا في معارك دامية مع الطوارق خلال فترة حكم الشيخ عمر بن محمد الأمين الكانمي (١٨٣٥-١٨٨٠م)^(١٧). وقد وصل التعاون بين المجابرة وسلاطين وداي من أجل تأمين طرق التجارة المتبادلة بينهم إلى التحالف وإبرام العهود، والدليل على ذلك الوثيقة التي عثر عليها في يناير ١٩٨١م في أبشة مختومة بختم السلطان علي السليك ابن السلطان دود مرة، والمؤرخة بتاريخ جمادى الآخر ١٢٧٩هـ وجاء فيها الآتي:

«أما بعد ليعلم الواقف على هذه الورقة أن السلطان علي بن السلطان محمد صالح بن السلطان يوسف بن السلطان شريف العباسي قد أطلع على ورقة المجابرة الذين بجالو وليبية وحاصل فيها اتصالات وموادات ومعاهدات مع آباءنا وأجدادنا السابقين لكوننا نفس وشيء واحد بحسب الأخوة الإسلامية ويؤكد ذلك معاهدة الآباء سابقاً لقوله عليه الصلاة والسلام عهود الآباء ترثه الأبناء وإننا محافظين علي تلك العهود وبرؤية تلك الورقة التي كتبها لهم جدنا السلطان الشريف العباسي علمنا أكيد نحن وإياهم على حالة واحدة وورقة جدنا كاتبها للشيخ يونس وجميع كبراء المجابرة الذين بجالوا سابقاً وإننا اليوم في أثرهم بيد أن الورقة تغيرت وإن شاء الله نحن مع ذلك محافظين لعهود الآباء والأجداد ومطلوب منكم أن تعلموا جميع المجابرة بذلك الحال لنكن نحن وإياهم على بصيرة الذين مضوا قبلنا وحفظنا الله وإياهم من كل مكروه وبالجمله منذ أن رأينا الورقة منكم صرنا منشرحين الصدور هذا ما لزم إعلامكم به والسلام، ختم السلطان علي السليك^(١٨).

هذه الرسالة تدل على مدى الود والاحترام المتبادل بين السلاطين ومشايخ القبائل الليبية المهاجرة إلى منطقة حوض بحيرة تشاد واحترام العهود أو لمواثيق بين الأبناء والأجداد مما مهد للقبائل الليبية للهجرة إلى تشاد عندما تتعرض للضغط في أي مرحلة من المراحل.

ب/ الصلات التجارية والاقتصادية بين حوض بحيرة تشاد وليبيا بعد الاستعمار:

استمرت القوافل التجارية في الربط بين شعوب هذه المنطقة حتى بعد مجيئ الاستعمار الأوروبي وسيطرته على بعض الدول، وبالتالي تأثرت هذه التجارة، وبالذات أثناء الصراع العثماني الفرنسي في الصحراء الكبرى (١٨٥٨-١٩١١م)، ومحاولة كل منهما الاستفادة من هذه الطرق فكانت فرنسا تحاول جاهدة تغيير وجهة التجارة إلى الجزائر بدلاً من ليبيا، فبدأت بالضغط على التجار الليبيين فرض الضرائب الجمركية عليهم، والتسهيل للتجار التونسيين بإعفائهم من الضرائب، فرجع التجار الليبيون شكوى إلى الدولة العثمانية^(١٩). وفي الفترة ما بين عامي ١٨٩٣ - ١٨٩٤م توقفت التجارة مؤقتاً بعد غزو رابح لمملكة باقرمي وبرنو كما شهدت هذه الفترة مراقبة شديدة من قبل الاستخبارات الأوروبية لهذه الطرق بغرض تطويق الحركات الإسلامية في هذه المنطقة - المهديّة في السودان، والسنوسية في ليبيا وتشاد ورابح في أوبانقي شاري، بالإضافة إلى الممالك التشادية التي تسعى فرنسا للاستيلاء على أراضيها.

الهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد:

مراحل هجرة القبائل الليبية إلى حوض بحير تشاد:

هناك ترابط قوي بين الشعبين التشادي والليبي، كرابطة الجوار والدين والعرق والتاريخ المشترك والهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد ناتجة عن العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت بين الشعبين في العصور المتعاقبة وهناك العديد من المصادر التي تتحدث عن الهجرات الليبية إلى حوض بحيرة تشاد ومقدارها وكيفيتها، وتم تقسيم هذه الهجرات إلى ثلاثة مراحل رئيسية حدثت في فترات متقاربة، ولكل هجرة أسبابها ودوافعها التي دفعت أصحابها إلى الهجرة⁽²⁰⁾. وقد توفرت في تلك الفترة (١٨٤٠-١٩٣٠) عوامل طاردة في ليبيا، وأخرى جاذبة في تشاد نتج عنها هجرة العديد من القبائل والعشائر الليبية إلى حوض بحيرة تشاد وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى ١٨٤٢م:

حدثت هذه الهجرة سنة ١٨٤٢م، وشملت عدة قبائل من منطقة سرت وفزان وأغلب العشائر المهاجرة إلى تشاد كانت من قبيلة أولاد سليمان.

المرحلة الثانية ١٨٦١م:

حدثت هذه الهجرة سنة ١٨٦١م وشملت عدة بيوت من منطقة سرت وإجدابيا وأغلب المهاجرين من قبيلة المغاربة.

المرحلة الثالثة ١٩٢٨-١٩٣٠م:

حدثت هذه الهجرة في الفترة ما بين ١٩٢٨-١٩٣٠م وشملت قبائل مختلفة من سرت وورفلة وفزان بالإضافة إلى الجنوب الشرقي من ليبيا اثر الضغط الإيطالي لها⁽²¹⁾.

الأسباب التي أدت إلى الهجرات الليبية إلى تشاد:

من العوامل التي أدت إلى الهجرات الليبية المتلاحقة إلى حوض بحيرة تشاد سوء الحياة الاقتصادية خلال أواخر العهد القرمانلي (١٧١١-١٨٣٥م)، والضرائب التي كانت تفرضها الإدارة العثمانية على القبائل الليبية والتعسف الذي يمارسه جباة الضرائب عليها في هذه الفترة (١٨٣٥-١٩١١م)، وقد رفضت بعض القبائل هذه المعاملة القاسية فامتنعت عن دفع الضرائب الأمر الذي اعتبرته الإدارة العثمانية عصياناً لها فجردت حملات ضد هذه القبائل، فلم يكن أمامها إلا الهجرة إلى منطقة حوض بحيرة تشاد القريبة منها والمتشابهة في مناخها واستضافة أهلها لهم. وتذكر بعض الروايات الشفهية أنه بعد مقتل عبد الجليل غيث شيخ قبيلة أولاد سليمان على يد حملة البلعزي اجتمعت عشائر أولاد سليمان للتشاور في أمر القبيلة، واستقر بهم الرأي إلى الهجرة إما إلى مصر أو إلى حوض بحيرة تشاد، ففضل غالبيتهم الهجرة إلى حوض بحيرة تشاد، وكان على رأس المؤيدين الهجرة إلى تشاد الشيخ عبد الجليل فكان يوصيهم بالهجرة إلى كانم. فهي بالإضافة إلى كونها بلد مسلم، وبه الكثير من الخيرات، كانت تربطها علاقات قوية بليبيا⁽²²⁾.

كذلك فإن منطقة حوض بحيرة تشاد في تلك الفترة لم تكن منطقة مجهولة بالنسبة لليبيين، فقد كانت هناك اتصالات وعلاقات اقتصادية واجتماعية وسياسية بين الشعبين. ولعل أبرزها تلك

الحملة التي كان الوالي العثماني يوسف باشا القرمانلي يجردها بين الحين والآخر لنجدة محمد الأمين الكامي الذي كان في تلك الفترة يقود حرباً ضد قبائل الفولاني ومملكة باقرمي وقد بعث يوسف حملته الأولى إلى كانم بقيادة محمد المكنى وإلي فزان (١٨١٧م). وقد عاد المكنى بغنائم عديدة وهدايا مبعوثة من محمد الأمين الكامي إلى يوسف باشا⁽²³⁾. وفي سنة ١٨٢١م بعث يوسف باشا القرمانلي بحملة أخرى بقيادة الأحمر الذي ساعد الكامي على سلطان باقرمي حيث دخل ماسينيا عاصمة مملكة باقرمي، إلا أن عبد الجليل عمل على توطيد علاقاته مع حاكم ماو عاصمة كانم المدعو مليقانا، وعمل على تنمية التجارة مع كانم وكانت تدر له أرباحاً هائلة مما شجعه على الاستقلال بفزان، الأمر الذي أدخله في حرب مع الأتراك.

هذه الأسباب وغيرها هي التي شجعت عبد الجليل بأن يوصي اتباعه بالهجرة إلى كانم داخل الأراضي التشادية⁽²⁴⁾. ومن الأسباب التي جعلت القبائل الليبية تهاجر إلى حوض بحيرة تشاد التشابه بين البيئتين، إذ يوجد تشابه بين منطقتي سرت والكفرة، ومناطق انيدي تبستي وكانم حيث تتكون من صحارى، وبعض الكثبان الرملية، والأودية الجافة، والمنخفضات والينابيع، كما أن هناك تشابه واضح في كمية الأمطار التي تسقط بين المنطقتين⁽²⁵⁾. ومن العوامل التي ساعدت القبائل الليبية في التوغل نحو حوض بحيرة تشاد الصراعات التي كانت تدور بين الممالك والقبائل في الداخل، مما يدفعهم للوقوف والتحالف مع أحدهما ضد الآخر من أجل كسب الغنائم. وقد استطاع أولاد سليمان بهذا التحالف أن يشنوا بعض الحملات على الطوارق والداوازا الكامبو وغنموا غنائم متنوعة من الأبل، والبقر، علاوة على اكتسابهم مكانة بين السكان وسيطرتهم على طرق التجارة، وكانت لهم مكانة خاصة بين السكان، في كانم سنة ١٨٥٠م⁽²⁶⁾.

القبائل الليبية المهاجرة إلى تشاد وأماكن تركزها:

كانت أخبار المهاجرين الأوائل الذين استقر بهم المقام، وطاب لهم العيش في كانم تأتي إلى أهلهم ومعارفهم، مما شجعهم على اللحاق بهم نتيجة لضغوط الولاة العثمانيين عليهم في مسألة جباية الضرائب التي تفرض عليهم، فقد هاجرت عام ١٨٦١م مجموعة من قبيلة المغاربة إلى شمال حوض بحيرة تشاد، وقد لقب أفراد هذه القبيلة بأصحاب العباءات السوداء تمييزاً لهم عن باقي المجموعات والقبائل التي هاجرت قبلهم، وربما كان بعضهم يرتدي هذا اللون من العباءات، وقد استقرت هذه المجموعات أيضاً في نفس المنطقة التي سكنت فيها القبائل الليبية شمال تشاد، وامتزجوا مع بعض القبائل المحلية مثل الداوازا. وفي سنة ١٨٧٣م قامت مجموعة أخرى من قبائل القذاذفة وورفلة تقدر بحوالي (٣٠٠) رجل بالهجرة إلى حوض بحيرة تشاد واستقرت أيضاً في منطقة كانم، والملاحظ أن تدفق القبائل الليبية المختلفة واستقرارهم في كانم أدى إلى توحدهم وصاروا قوة فيما بعد⁽²⁷⁾. وقد أُجبرَ بعض السلاطين للتحالف معهم، فقد لجأ الشيخ محمد الأمين الكامي (١٨٣٥- ١٨٨٠م) إلى عقد تحالف معهم ضد تقدم سلطان دار وداي نحو برنو. وفي المقابل يقوم الشيخ بتزويد هذه القبائل بالسلاح والغلال، حتى يحطم سلطان وداي وبسبب هذا التحالف بين الشيخ عمر والقبائل الليبية بدأ سلطان وداي يغدق الهدايا على زعماء تلك القبائل ولكنه لم يوفق في ذلك

⁽²⁸⁾ وهكذا ظلت القبائل الليبية في شمال تشاد حتى الغزو الفرنسي لمنطقة حوض بحيرة تشاد ١٨٩٩م، ومحاولة احتلال كانم بعد مقتل رابح في ٢٠ أبريل ١٩٠٠م، ولما تقدمت فرنسا نحو تشاد وقفت القبائل الليبية (أولاد سليمان، القذاذفة، المغاربة، ورفلة، والشريدات، اللهيوات وغيرهم) مع المقاومة الوطنية التشادية ضد الغزو الفرنسي، مما جعل تقدم الفرنسيين نحو الشمال بطيئاً على الرغم من الإمكانيات العسكرية الكبيرة والقوى البشرية المدربة، بالإضافة إلى بعض القوى المحلية المتحالفة معهم أمثال السلطان قورانق، وسلطان زندر، وجرت هناك معارك غير متكافئة في تلك الفترة ⁽²⁹⁾.

التعريف بالحركة السنوسية وانتشارها:

نبذة عن مؤسس الحركة السنوسية:

هو محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن محمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داوود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ⁽³⁰⁾.

ولد صبيحة الأثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١٢٠٢ هـ الموافق ١٢٢ ١٧٨٧/١٢م لذلك سماه والده محمداً تيمناً باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت ولادته بضاحية ميثا الواقعة على ضفة وادي شلف بمنطقة الواسطة التابعة لمنطقة مستغانم بالجزائر، توفي والده بعد سنتين من ولادته فتولت عمته فاطمة تربيته فنشأ عندها نشأة صالحة، وكانت هي من فضليات أهل زمانها ومتبحرة في العلوم، ومنقطعة للتدريس والوعظ والإرشاد، حتى كان يحضر دروسها الرجال ⁽³¹⁾.

فشب في طلب العلوم عند مشيخة بلدته مستغانم فمكث فيها سنتين أتم خلالها حفظ القرآن برواياته السبع ودرس الكثير من كتب الفقه والسيرة والعقيدة، بالإضافة إلى كتب اللغة العربية ⁽³²⁾.

خرج في أوائل ١٢٢١ هـ من مستغانم إلى بلدة مأذونة التي مكث فيها سنة كاملة لطلب العلم، فتتلمذ على مجموعة من مشايخها وهم: محمد بن علي بن أبي طالب، وأبو رأس المعسكري، وأبو المهمل أبو زوينة، بعد ذلك رحل إلى مدينة تلمسان وأقام بها قرابة السنة، حيث تتلمذ على كبار شيوخها متفرغاً في تحصيل العلم والمعرفة ⁽³³⁾.

ثم قصد بعدها مدينة فاس في المغرب ومكث فيها سبع سنوات من أجل التحصيل العلمي وتبحر في الطرق الصوفية بالإضافة إلى الفقه والعقيدة، وتحصل على إجازات من علماء راسخين في العلم، وأصبح مدرساً بالجامع الكبير بمدينة فاس حتى نال منصب المشيخة الكبرى بها ⁽³⁴⁾.

كان محمد بن علي منذ صغره يميل إلى الانزواء والانفراد، ويمضي وقتاً طويلاً في التفكير العميق، ويتألم من حال الأمة وما وصلت إليه من الضعف والهوان والضياع، وكان يبحث عن

أسباب الهبوط، وعوامل النهوض، كما يبحث عن طريقة لتوحيد صفوف الأمة وإحياء الملة، وحدث ذات مرة أن وجده بعض العلماء جالساً فوق كثيب من الرمال تظهر على صفحات وجهه المشرق علامات التفكير العميق، فلما سألوه عن السبب في ذلك أجاب بأنه يفكر في حال العالم الإسلامي الذي لا يعدو عن كونه قطيعاً من الغنم لا راعي له، على الرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ومشايخ طرقه وعلمائه⁽³⁵⁾.

فمع أن هناك عدداً كبيراً من المرشدين، وعلماء الدين الموجودين في كل مكان، فإن العالم لا يزال مفتقراً أشد الافتقار إلى مرشد حقيقي يكون هدفه سوق العالم الإسلامي أجمع إلى غاية واحدة نحو غرض واحد، والسبب في هذا انعدام الغيرة الدينية لدى العلماء والشيوخ، وانصرافهم إلى الخلافات القائمة بينهم التي فرقهم شيعاً وجماعات، فأصبحوا لا يعنون بنشر العلم والمعرفة، ولا يعملون بأوامر الدين الحنيف، وهو دين توحيد أساسه الاتحاد وجمع الكلمة. زد علي هذا أن على هؤلاء العلماء والشيوخ واجب عظيم في حق الملة الإسلامية، لأن الشعوب المجاورة في السودان والصحراء من أفريقيا الغربية لا يزال الكثير من شعوبها تعبد الأوثان، ومع هذا فإنهم بدلاً من وعظ هذه الشعوب الوثنية وإرشادهم إلى الدين القويم، مازالوا يفضلون القبوع في كل مسجد من مساجد المعمورة غير عاملين بعلمهم، لا هم لهم إلا راحة أجسامهم، حريصين على لذاتهم، غير قائمين بواجبات مراكزهم، لا ضمائر لهم تؤنبهم على إهمالهم إرشاد هؤلاء المساكين الوثنيين⁽³⁶⁾.

ومع ذلك فقد بلغ من القوافل الواصلة إلى بلده مستغانم أن الإسلام مغلوب على أمره في كل محل، وأن المقاطعات والخطط المعمورة تذهب من أيدي المسلمين في كل وقت وبسرعة البرق، فالإسلام في حالة تدهور مخيف ثم ختم كلامه بقوله (هذا ما أفكر فيه فلما سألوه: وماذا يجب على المسلمين فعله لتلافي ما ذكرت أجاب: سأجتهد سأجتهد)⁽³⁷⁾.

لقد كان تفكيره في حال الأمة مبكراً جداً، وأخذ يبحث عن العلل والأسباب التي أدت إلى هذا التدهور والانحطاط والضعف في كيان الأمة، وذكر أن من أسباب هذه الحال فقدان القيادة الرشيدة وغياب العلماء الربانيين، وانعدام الغيرة على الدين، والانشغال بالخلافات الهامشية التي فرقهم شيعاً وجماعات، والتفريط في حق دعوة الناس إلى الإسلام، فلذلك اهتم بالبحث عن أسباب النهوض، فرأى أن بدايتها الإيمان العميق بمبادئ وقيم الدين الحنيف كما قال تعالى: (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) صدق الله العظيم الأعراف الآية (٩٦). وعندما رأى الناس صلاحه وتقواه وفهمه الدقيق لعلوم الدين واهتمامه بأمر وحدة المسلمين اجتمعوا حوله فدب الخوف في حكومة السلطان سليمان من نفوذ ابن السنوسي ومكانته في قلوب الرعية، فرأت في أفكاره الناقدة لولاة الأمر تهديداً لمكانة السلطان، فبدأت بوضع العراقيل له وأحس بعدم جدوى وجوده في فاس، فرحل عنها بعد أن تشبع من أصول الدعوة وعزم على محاربة الأوهام والخزعبلات التي أبعدت الإسلام عن حقيقته، كما أن تجربته مع السلطان سليمان أكسبته خبرة في التعامل مع الحكام في المستقبل، كما لاحظ أثناء تواجده بالمغرب بداية التغلغل الأوروبي وتأثيره على المدن المغربية، وشعر بالخطر الذي بدأ يهدد البلاد الإسلامية من الدول

الأوروبية المسيحية، فقد سمع عن النكبات التي حلت بالمسلمين في الأندلس، واحتلال الكثير من المدن في الشمال الإفريقي في القرنين الأخيرين من قبل الإسبان، وما تزال صدى أعمالهم الشنيعة تتناقل من جيل إلى جيل، -القتل والسلب والسبي وتحويل المساجد إلى كنائس- كل هذه الأشياء أثقلت أفكاره وجعلته يفكر ملياً في تغيير حال الأمة إلى الأحسن⁽³⁸⁾. وقد تأثر بالطرق الصوفية التي تعمق في دراستها، وساعدته الظروف حيث كانت فاس مركزاً نشطاً للطرق الصوفية آنذاك، وتأثر أيضاً بالحركات الإصلاحية التي كانت تقف في وجه الحكام ضد انحرافاتهم⁽³⁹⁾. ومن الأسباب التي جعلته يغادر مدينة فاس بالإضافة إلى الأسباب السابقة رغبته الملحة لحج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك غادر المغرب العربي برفقة قافلة ذاهبة إلى المشرق⁽⁴⁰⁾.

رحلته إلى المشرق ودخوله الأراضي المصرية:

كان التفكير عند ابن السنوسي للسفر إلى مكة طبيعياً فهو من ناحية لابد أن يؤدي فريضة الحج، وتعلق قلبه بحج بيت الله الحرام، وحلم بالعيش في الأراضي المقدسة، وذلك للقاء كبار علماء المشرق بعد أن اغترف العلم من علماء المغرب لأن مكة تجمع كل علماء العالم الإسلامي، كما فكر في لقاء شعوب كل العالم لجس نبض حال الأمة لأنها ملتقي المسلمين لأداء فريضة الحج⁽⁴¹⁾. وقد قيل أن ابن السنوسي قبل سفره إلى المشرق رجع إلى بلده مستغانم وفيها قام بإتمام أول زواج له بإحدى بنات عمومته، فرحل بزوجه جنوب شرق قسنطينة فبني زاوية ومارس فيها الوعظ والإرشاد وقرر بعد ذلك الارتحال إلى مكة فلم ترغب زوجته مرافقته فطلقها بسبب ربما يتأخر عليها فلا يريد أن يظلمها، فأنجب منها طفلاً ولكنه توفي وهو صغير ثم ماتت أمه بعده⁽⁴²⁾.

غادر ابن السنوسي الجزائر، ودخل تونس وقابس، واستقر بجامعة الزيتونة حيث استفاد من شيوخها وأفاد طلابها، ثم واصل سيره ودخل طرابلس الغرب، وكان ذلك في عهد يوسف القرمانلي⁽⁴³⁾.

الذي كان مستقلاً عن الدولة العثمانية فأكرم نزل ومكث في طرابلس وضواحيها مدة من الزمن للوعظ والإرشاد، ولم يترك مسجداً معروفاً بها إلا وألقى فيه دروساً وتعلق به آل المنتصر، وأصبحوا النابئين له في طرابلس وسافر إلى زليطن لنشر الدعوة ووعظ وأرشد الناس واستطاع أن يكسب الكثير من الأنصار لدعوته في كل من مصراته وزليطن وطرابلس⁽⁴⁴⁾.

ومن أشهر الأسر التي أصبحت ركائز للحركة السنوسية فيما بعد آل المحجوب، وآل الأشهب، وآل الدردني، وآل عمران بن بركة، وآل يوسف، وآل بن فرج الله، وآل المقرحي، وآل الثني، وآل الغرياني، وآل العيساوي، وآل الغزالي، وآل الهوني، وآل الزناتي⁽⁴⁵⁾.

نستطيع تحديد تاريخ دخول ابن السنوسي طرابلس الغرب عن طريق حفيده أحمد الشريف، الذي تحدث عن اجتماع جده بأحد مريديه وهو عمران بن بركة « فكان اجتماعه به أثناء مروره عليهم قادماً من الغرب إلى المشرق سنة ثمان وثلاثين بعد المئتين والألف في بلدة زليطن بغرب طرابلس الغرب»⁽⁴⁶⁾.

استغل ابن السنوسي فرصة مروره بالساحل الإفريقي في التعرف على أحوال المسلمين في تلك المناطق، وكوّن فكرة عن أوضاعهم، وقد استفاد فيما بعد من هذا التعارف بعد عودته من الحجاز.

دخول ابن السنوسي الأراضي المصرية:

دخل ابن السنوسي القاهرة وكان يحكم مصر آنذاك محمد علي باشا وكان ذلك عام ١٢٣٩هـ الموافق ١٨٢٤م، وكانت هذه فرصة ليتعرف محمد بن السنوسي على تجربة محمد علي باشا في الحكم، وقد لاحظ ابن السنوسي عدة أمور جعلته لا يرتاح إلى نوع الحكم الذي أقامه محمد علي باشا، وازداد قناعة بخطورة حكم محمد علي باشا علي الأمة، لأن سياسته كانت تخدم أعداء الإسلام وهيأت سياسته المنطقة بأكملها لمرحلة استعمارية، وقد استطاع أعداء الإسلام تحقيق أهدافهم بواسطة محمد علي باشا بعدة طرق منها:

- تحطيم الدولة السعودية الأولى التي كانت خنجراً مسموماً في ظهر الأطماع البريطانية في دول الخليج خصوصاً والعالم العربي علي وجه العموم.
- فتح الأبواب أمام الدول الغربية لإقامة مؤسسات معادية للإسلام والمسلمين في دول المشرق مثل الماسونية، وإرساليات التبشير وأديرة وكنائس، ومدارس نشطة في بذر التيارات القومية المعادية للمسلمين.
- فتح المجال للشركات الأوروبية لتتحكم في الاقتصاد الإسلامي.
- منح امتيازات واسعة للأوروبيين⁽⁴⁷⁾.

خفق التيار الإسلامي ومضايقته العلماء ومنع المسلمين من تكوين تكتلات توحدهم، أما الأزهر الشريف فكان في غاية الانحطاط، وضعف دور علمائه، وانتشرت الخلافات فيما بينهم، واهتمام العلماء بالمختصرات، والشرح في الحواشي، وقفل باب الاجتهاد، وطغى التعصب المذهبي. وبعد هذه التجربة القصيرة في مصر قرر مواصلة رحلته إلى مكة⁽⁴⁸⁾.

رحلته إلى مكة المكرمة وتأسيسه لأول زاوية:

دخل محمد بن السنوسي الحجاز عام ١٢٤٠هـ الموافق ١٨٢٥م بعد أن مكث سنة كاملة في مصر، وكانت لزيارته للحجاز أثراً كبيراً في قيام الحركة السنوسية وساعده في ذلك جملة من الأسباب:

- تلقيه الكثير من المعلومات عن أحوال وأخلاق المسلمين الوافدين من جميع الأقطار إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.
- وجد الفرصة للاحتكاك بعلماء وفقهاء ومفكري الأمة وتبادل معهم الآراء حول كيفية النهوض بالأمة وإعادة مجدها.
- كانت مركزاً مهماً لنشر الدعوة ولذلك انتهاز فرصة وجوده هناك لنشر دعوته.

وجد الفرصة للتعرف عن قرب علي الكثير من الاتجاهات الفكرية المختلفة فمنهم الصوفي والسلفي وخاصة حركة محمد بن عبد الوهاب حيث عاش أتباع السلفية ودرسها دراسة واعية في

مواقفها السياسية واجتهاداتها العلمية، ومن أشهر العلماء الذين درس عندهم أبو سليمان عبد الحفيظ العجمي مفتي مكة وقاضيه، وأحمد الدجان الذي أخذ عنه عدداً من الطرق الصوفية، وأحمد بن إدريس الفاسي وهو من الشيوخ الذين درس عندهم وتأثر بهم حتى رحل معه إلى صيبا باليمن عندما تعرض لضغوطات من قبل الحكومة العثمانية وانتقادات علماء مكة فمكث معه حتى وفاته سنة ١٨٣٥م⁽⁴⁹⁾.

تأثر ابن السنوسي بشيخه أحمد بن إدريس تأثراً كبيراً، وأحبه شيخه حباً شديداً وهو أيضاً كان يحبه ويقدره ويفضله على غيره وهذه شهادة ابن إدريس لابن السنوسي «أما ولدنا السيد محمد بن السنوسي فحنن أمرناه أن يدل الخلق على الله، ويجذب الطالبين إليه، إياكم ثم إياكم ما يقطعكم عن صحبتي، فإنه النائب عنا، قد اختاره الله لذلك، وقد طلب منا مراراً أن نجعل ذلك لمن يقوم به غيره فلم نر فيه المصلحة إلا هو... ونحن ما أقمناه حتى أقامه الله، فقد قام امتثالاً لأمره فلم يكن له غرض لطلب دنيا ولا جاه»⁽⁵⁰⁾.

أول زاوية لابن السنوسي:

لقد أخذ ابن السنوسي من شيخه أحمد بن إدريس الإذن لإعطاء العهود، وتلقين الذكر، فأذن له بذلك ولم يلبث ابن السنوسي بعد ذلك طويلاً حتى بنى أول زاوية له في الحجاز وباشراً في الدعوة وإلقاء الدروس فيها قبل وفاته شيخه⁽⁵¹⁾.

ويعتبر المؤرخون زاوية أبي قبيس أول الزوايا التي أسسها ابن السنوسي بعد اعتزامه القيام بالدعوة، كوسيلة لنشر تعاليمه وأفكاره⁽⁵²⁾.

مكث ابن السنوسي في الحجاز خمسة عشر عاماً في رحلته الأولى كون خلالها الكثير من الأتباع والمريدين، مما أثار غضب وضغينة علماء مكة الذين يخالفونه وينتقدون اعتماده الخالص على الكتاب والسنة، وإقامته الحجة على أن باب الاجتهاد لم يغلق بعد، وزاد الأمر تعقيداً أن السلطات الحكومية بدأت تشعر بخطورة دعوته والتفاف الناس حوله، وكان ابن السنوسي على اتصال دائم مع تلاميذ أحمد بن إدريس في صيبا وقد تبنا أفكار السلفية، وكان العداء على أشده بين الحكومة العثمانية والأشراف بمكة، وبين أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهكذا كثرت الصعاب والعوائق ففكر في الانتقال بالدعوة إلى مكان آخر⁽⁵³⁾.

انتقال ابن السنوسي إلى المغرب وتأسيسه للزوايا في شمال ووسط أفريقيا:

هناك عدة أسباب تضافرت ودفعت بابن السنوسي لمغادرة الحجاز منها وفاة شيخه ومعلمه أحمد بن إدريس الفاسي، وعداوة علماء مكة وشيوخها لأفكاره وتوجهاته، وخوفه من توجس الدولة العثمانية من تنامي علاقته مع أبناء أحمد بن إدريس بمنطقة عسير، وهي مرتع لأتباع السلفية، ودعوة أتباعه ومريديه من أهالي المغرب وشمال أفريقيا لزيارتهم، ورغبته في مقاومة الفرنسيين الذين اجتاحتوا شمال أفريقيا وخاصة بلده الجزائر⁽⁵⁴⁾.

كل هذه الأسباب دعت له لعقد النية والتصميم على السفر، والتحق بربكه العديد من أتباعه ومريديه، وعين الشيخ عبد الله التواتي على زاوية أبي قبيس بمكة للقيام بشؤون الأتباع، وذلك في

أواخر عام ١٢٥٥م، ودخل مصر في أوائل عام ١٢٥٦م، وزار الجامع الأزهر، وألقى دروساً فيه ومكث فيه بضعة أشهر، وقد وجد معارضة من علماء الأزهر المحافظين الذين غضبوا عليه، ولم يرضوا عن طريقة تفكيره وفهمه للإسلام. تعرض ابن السنوسي إلى هجوم من قبل الشيخ عيش المالكي بسبب دعوته لفتح باب الاجتهاد⁽⁵⁵⁾.

غادر ابن السنوسي مصر واتجه نحو واحة سيوه برأ، وواصل سيره ماراً بجالو ثم أوجلة حتى وصل برقة، ونزل عند عائلة اللواتي ورافقوه إلى منتجع المغاربة، وزحف إلى مصراتة حيث قابل آل المنتصر، وزحف إليزليطن ومنها إلى طرابلس، ومنها إلى زوارة، حتى دخل حدود تونس فمكث بمدينة فاسليوجه مساعدة إلى المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري، وعندها علم برصد الفرنسيين لتحركاته فقرر أن لا يواصل سيره بل انتدب محمد بن صادق وحمله بعض الأسلحة والأموال لتوصيلها للمقاومة⁽⁵⁶⁾.

عاد ابن السنوسي إلى طرابلس عام ١٢٥٧هـ مع مجموعة من الأتباع والمريدين ونزل عند آل المنتصر، وتخوف الوالي العثماني علي عشقر من دعوته لأنه وصلته معلومات مشوهة عن ابن السنوسي ودعوته، ونوى اعتقاله إلا أن المنتصر هدأه وأتي بالشيخ إلى الوالي، وعقد مجلس علمي حول دعوته فوقف الوالي على حقيقة الدعوة فتأثر به واعتذر له وأصبح من أتباعه، فمكث في طرابلس مدة يعلم الناس ويذكرهم أمور دينهم، وحرص الوالي العثماني على الاستفادة من نفوذ ابن السنوسي في استتباب الأمن، وجمع الكلمة، لأن الحرب كانت مشتتة في جبل نفوسة بقيادة غومه المحمودي، وسيف النصر ضد العثمانيين⁽⁵⁷⁾.

تأسيسه لأول زاوية في المغرب الزاوية البيضاء:

واصل ابن السنوسي سيره إلى سرت برفقة آل المنتصر، ووجد كوكبة من زعماء القبائل في انتظاره في برقة من العواقر والمغاربة وأهل الجبل الأخضر، ثم واصل سيره إلى مكان يسمى ماسة، وتقدم منها إلى مكان يسمى دنقلة حيث وجدت الزاوية التي أسسها تلاميذه قبل مجيئه بتوجيه منه، وهي أول الزوايا التي أسسها ابن السنوسي خارج الحجاز وقد بنيت الزاوية البيضاء خارج البلدة في موقع استراتيجي، ومنها بدأ بنشر دعوته في المدن المجاورة وبدأت تتوافد إليه القبائل، وتطلب منه إنشاء زوايا لها في أماكنها، أسوة بالزاوية البيضاء، فيتوجه هو بنفسه لإنشاء الزاوية أو ينتدب شخصاً لذلك، وهكذا بدأت القبائل تتسابق في إنشاء الزوايا حتى تم تأسيس ما يزيد عن عشرين زاوية⁽⁵⁸⁾. والزوايا التي تم تأسيسها في السنوات الأربع في الجبل الأخضر وبرقة هي (البيضاء، شحات، بنغازي، درنة، مارة، أم الرزم، العرقوب، تكورة، طلميثة، الطليمون، الفائدية، المخيلي، القصور، المرج، أم ركة، أما في فزانمرزق، زويلة، هون، كوسنة، أما في طرابلس مزدة، طبقة الرمان، تونين، مصراتة، زليطن، زلة، وزوايا أخرى في تونس تسمى زوايا الجريد⁽⁵⁹⁾.

كان من الأسباب التي جعلت ابن السنوسي يختار منطقة برقة مركزاً لدعوته هو النظام القبلي المعقد، وانتشار الجهل في تلك المنطقة، وعدم سيطرة العثمانيين عليها. فاخياره يدل على معرفة جيدة بالمنطقة التي اتصفت بفرائها السياسي، وبجهلها العلمي، فاستطاع أن يزيك النفوس

ويزيل الجهل، ويحارب الظلم. وفي فترة وجيزة أصبح في تلك القبائل علماء يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وظل ابن السنوسي في هذه المنطقة خمس سنوات ينشئ الزوايا وينظمها ويرسم منهجاً لدعوته ومبادئها، ثم عاد بعد ذلك إلى مركزه الأول بالحجاز وخلف فيها عدداً من الأتباع الذين يقومون بشؤونها، وأصبح له مركزان لدعوته الأول بالحجاز والثاني ببرقة⁽⁶⁰⁾.

أسباب انتقال ابن السنوسي إلى الجغبوب:

إن اختيار بن السنوسي للجغبوب كمركز لقيادته دليل على بعد نظره ورجاحة عقله وحسن تصرفه وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب لذلك منها:

– الاهتمام بالطرق الرئيسية للصحراء الكبرى من نواحي الجنوب والغرب والشرق – فالجغبوب كانت نقطة التقاء بين هذه الطرق، وتكون ضماناً لأمن وسلامة القوافل التجارية.

– كان البدو في المناطق الليبية يضطرون أحياناً إلى التوغل إلى الجنوب بسبب الخلاف بين الولاة العثمانيين أو بسبب الخلاف بينهم فأراد بن السنوسي أن يكون مأوى لهؤلاء الهاربين.

– ازدياد العداوة بين علماء القاهرة والعثمانيين بسبب أفكار ابن السنوسي فأراد الابتعاد عن الساحل والتوغل في الصحراء.

– خوفه من استيلاء الصليبيين على السواحل فاختر الابتعاد إلى الجنوب داخل الصحراء بحيث يكون بعيداً عن قبضتهم⁽⁶¹⁾.

كانت الجغبوب آنذاك مأوى للصوص وقطاع الطرق ولا تستطيع القوافل عبورها بسهولة، فلما وصل إليها ابن السنوسي سنة ١٨٥٩م بنى فيها زاويته الكبرى، فصارت مهد أمان، ومركز عبادة، فاستنبت العيون، وغرس الأشجار، ووسع البنيان، فهي مكان استراتيجي بعيد عن مراقبة الأوروبيين، وبعيد أيضاً عن قبضة العثمانيين، وهي علي خط الحج الرئيسي القادم من شمال وغرب أفريقيا عبر مصر⁽⁶²⁾.

توفي مؤسس الحركة السنوسية الشيخ محمد علي بن السنوسي بعد حياة حافلة بالعباءة والدعوة إلى الله، ففكر سلفه وزعيمها الجديد محمد المهدي الانتقال إلى الكفرة، فشرع في تنفيذ خطة الانتقال، فجمع الإبل، والأمتعة الضرورية، وجهاز الأدلاء، وخبراء الطرق، وعين الإمام محمد المهدي مرافقيه في سفره، ففي ٢٢ من شوال ١٣١٢هـ اجتمع جميع سكان الجغبوب للوداع، وألقي فيهم خطبة ذكر فيها نصائح وإرشادات ثم ركب واتجه نحو الكفرة، وكان في وداعه الأحاب والمشييعين الكبار في مقدمتهم أحمد الريفي، ومحمد عابد السنوسي، وأبي يوسف مقرب، ومحمد المدني وغيرهم من كبار المشيعين لقاقلته. وكان من ضمن المرافقين للإمام محمد المهدي السنوسي في رحلته إلى الكفرة أحمد البسكري، أحمد التواتي، وأحمد الجروالي، أحمد المثني الغدامسي، ومحمد السني وغيرهم من كبار الإخوان. ولما بلغ الإمام واحة الكفرة تلقته قبيلة الزوية والمجابرة ومن

جاورهما من القبائل الصحراوية. وكان في استقباله أكثر من ثلاثة آلاف رجل وسط جو من الابتهاج، وبؤدلت الخيول وأطلق الرصاص حتى قتل يونس الرويعي رجلاً من قبيلة الزوية عن طريق الخطأ فنادي شيوخ القبائل أتباعهم، بأن لا يُترك الاحتفال من أجل موت أحدهما، وأن القاتل في مأمن إكراماً للإمام⁽⁶²⁾. وهذا يدل على احترامهم الشديد لهذا القائد العظيم رغم اهتمامهم بالثأر، كما قرر شيوخ القبائل أن يتقدموا بهدية إلى الإمام المهدي بمناسبة قدومه إليهم، والهدية هي التسامح فيما بينهم والتنازل عن حقوقهم وعن ثلث ممتلكاتهم وفقاً للحركة السنوسية من نخيل وبساتين وأراض عن طيب خاطر، وشرع الإمام في بناء زاوية التاج، فأصبحت بذلك الكفرة هي العاصمة الفعلية للحركة السنوسية، فحفرت الآبار وزرعت البساتين، وانتعشت الحياة الاقتصادية وأنت إليها الوفود من كل حذب وصوب حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت، فحرص الإمام علي أن تكون الكفرة ميداناً يقود منه حركة الإسلام إلى مجاهل أفريقيا جنوب الصحراء وذلك من أجل قطع الطريق أمام الفرنسيين الزاحفين نحو المنطقة، فعمل علي توطيد العلاقات بينه وبين مملكة وداي التي كانت علاقاتها جيدة مع الحركة السنوسية منذ عهد والده، حيث طلب منه سلطانها السلطان يوسف أن يوفد المهدي أحد كبار شيوخ السنوسية كمنسوب إلى أبشة فارس إلى محمد عبد الله السني فوطد نفوذ السنوسية في وداي⁽⁶³⁾. وبعد وفاة شقيقه محمد الشريف سنة ١٣١٣هـ أرسل الإمام محمد المهدي في طلب العائلة من الجغبوب إلى الكفرة وانتقلت جميع الأسرة والمريدين إلى الكفرة⁽⁶⁴⁾. ومن الكفرة كان الإمام المهدي يرسل البعثات الاستكشافية إلى الصحراء، ويحفر الآبار، ويمهد الطرق وكانت تلك الاستعدادات تجري لاكتشاف موقع جديد للحركة. وبعد أربع سنوات من مكوثه في الكفرة فكر في الانتقال إلى منطقة قورو.

انتقال الحركة السنوسية من الكفرة إلى قورو:

هناك اختلاف حول أسباب انتقال الحركة السنوسية من البيضاء إلى الجغبوب وهناك اختلاف أيضاً في دوافع انتقال الحركة من الجغبوب إلى الكفرة إلا أن الاختلاف الذي دار بين المؤرخين حول انتقال الحركة من الكفرة في جنوب شرق ليبيا إلى قورو شمال تشاد كان أوسع من ذي قبل:

– يرى بعض المؤرخين أن انتقال الحركة من الكفرة إلى قورو كان لتجنب الاحتكاك بالدولة العثمانية.

– وهناك رأي آخر يرى أن انتقال الحركة من الكفرة إلى قورو كان بدافع نشر الإسلام بين القبائل الوثنية في منطقة السودان الأوسط.

– والرأي الثالث يرى أن الدافع الحقيقي لانتقال الحركة من الكفرة إلى قورو كان بدافع التصدي للفرنسيين الذين بدأوا يسيطرون على منطقة حوض بحيرة تشاد ويهددون مصالح الحركة السنوسية والدعوة الإسلامية في الجنوب⁽⁶⁵⁾. والراجح هو الرأي الأخير بدليل أن الحركة بعد وصولها إلى منطقة قورو بدأت في إنشاء عدد من الزوايا داخل حوض بحيرة تشاد، مثل زاوية بئر علالي، وزاوية عين جلكة، ووجانقا الكبير ووجانقا الصغير. كما بعث محمد المهدي عدداً من أتباعه لمراقبة التحركات الفرنسية، مثل

إرسال محمد البراني الساعدي وبوعقيلة، وإرسال عدد من الرسل إلى زعماء الممالك لتوحيد جهودهم ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة. وقد أكد هذا الرأي كل من عبد الرحمن عمر الماحي في كتابه تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال والصلاحي في الثمار الزكية للحركة السنوسية. غادر الإمام محمد المهدي الكفرة في 1317هـ ورافقه عدد من أفراد أسرته وكبار الإخوان، وشيوخ الزوايا، وأعيان القبائل، وكان عدد مرافقيه من الرجال قد بلغ 1066 رجلاً واستغرقت الرحلة من الكفرة إلى قورو شهرين تقريباً، وبمجرد وصوله إلى منطقة قورو أرسل القائد محمد البراني إلى زاوية بئر علالي لبند الخلافات بين القبائل وتوحيد صفوفهم لمجابهة الفرنسيين.

بداية التصدي للفرنسيين بمساندة القوى المحلية:

مقاومة رجال السنوسية للفرنسيين في كانم بالتعاون مع سكان المنطقة:

واجهت القوات الفرنسية خلال توجهها نحو كانم مقاومة عنيفة، وقد شاركت في هذه المقاومة كل القوى السياسية والشعبية، حيث كانت الأوضاع في المنطقة متدهورة قبل مجيء الفرنسيين نتيجة للفراغ السياسي الذي كانت تعيشه منذ غزو رابح لها، وإسقاطه للحكم فيها، وعلى الرغم من أن كانم لا تمتلك جيشاً منظماً في تلك الفترة إلا أنها لم تستسلم للفرنسيين، ولم تكن بداية المقاومة منظمة، بل كانت كل فرقة أو منطقة تقوم بالدفاع عن نفسها بمفردها، وقد وقع أول صدام بين أهالي كانم والقوات الفرنسية في منطقة (زرك) التي لا تبعد كثيراً عن مواقع الفرنسيين حيث خرج سكانها لملاقاة الفرنسيين بالأسلحة البيضاء⁽⁶⁶⁾.

مقاومة السنوسية في الشمال الغربي لتشاد

أ- معركة أنقوري:

وقعت هذه المعركة بين أهالي منطقة أنقوري والقوات الفرنسية حيث استطاع أهالي المنطقة من خلال هذه المعركة منع الفرنسيين من دخول منطقتهم واضطرت القوات الفرنسية على إثر تلك المعركة أن تطلب المدد فجاءت نجدة فرنسية بمساندة الخليفة جراب الذي تحالف مع الفرنسيين ضد بني جلدته وعلى الرغم من الفارق في العتاد والتدريب، إلا أن أهالي أنقوري صمدوا رغم قلة عددهم وأسلحتهم البدائية. وبعد معركة دامت ثلاثة أيام تمكن الفرنسيون من احتلال المدينة وحرق أشجارها المثمرة، وطمر آبارها، وتشريد أهلها، وفي محاولة يائسة قامت القوات الفرنسية بمطاردة القوات الوطنية، وتمكنت من مقتل المجاهد خليفة حاجي حليف غيث عبد الجليل شيخ أولاد سليمان في كانم، والخصم اللدود لخليفة جراب حليف الفرنسيين ولما يئست القوات الفرنسية من قمع مقاومة عبد الجليل وأنصاره، أو التحالف معه، أوقفت عملياتها الحربية في كانم مؤقتاً وانسحبت باتجاه (قانلفي) حيث التقت بالحملات الأخرى وتحركت إلى كسري حيث التقت بقوات رابح⁽⁶⁷⁾.

لقد ظنت القوات الفرنسية بأن المعاهدات التي وقعتها مع بعض الأهالي المتحالفين معها ستكون ضماناً لنجاحهم في السيطرة على المنطقة، لكن في الحقيقة لم تكن إلا مجموعة قليلة قد

تحالفت معهم، والقوى الحقيقية للمقاومة في كانم كانت تتمثل في القبائل الليبية المتواجدة هناك بقيادة غيث بن عبد الجليل وحلفائه من القبائل التشادية يضاف إليها قوة الحركة السنوسية بقيادة البراني التي ارتكزت في منطقة قرو⁽⁶⁸⁾.

لقد أعطى انسحاب القوات الفرنسية من كانم وانشغالها بالقضاء على رابع المزيدي من الوقت للمقاومة في كانم لتنظيم صفوفها، واستطاع غيث عبد الجليل أن يكون جيشاً من قبائل القذاذفة وورفلة والمغاربة والقرعان والطوارق تقدر قواته بحوالي خمسة آلاف مقاتل، بالإضافة إلى وصول قائد الحركة السنوسية البراني الساعدي مبعوثاً من قبل محمد مهدي السنوسي واستقر في منطقة قرو وذلك لقيادة زاوية بئر علالي، والسعي إلى نبذ الخلاف بين المتخاصمين في المنطقة لتوحيد كلمتهم ضد الغزاة الفرنسيين⁽⁶⁹⁾. وبعد مقتل رابع مباشرة أصدرت الأوامر للقوات الفرنسية بتنظيم الإقليم العسكري لمنطقة بحيرة تشاد، والسيطرة على بقية أجزاء البلاد، وفي نفس الشهر تم تعيين العقيد جورج ماتيه ديستاف قائداً أعلى للقوات الفرنسية، ومفوضاً للحكومة الفرنسية بالإنابة، في محميات تشاد مكان إميل جانتي، الذي غادر البلاد، فوصل ديستاف (فورت لامي) في يوليو عام 1901م، حيث قاد حرباً ضد فضل الله بن رابع الذي كان يسيطر على أجزاء كبيرة من برنو في تلك الفترة وتمكن من القضاء عليه في أكتوبر من نفس العام، وبمجرد القضاء على فضل الله بن رابع تحرك مع قواته نحو الشمال والشرق لضم ما تبقى من أراضي تشاد فقام بجولة تفقدية في بعض المدن، وفي أثناء جولته أعطى الأوامر للكابتن ميلو للقيام بجولة في كانم، من أجل معرفة الأحوال فيها، ومباغته المقاومة الوطنية والاستيلاء على زاوية بئر علالي⁽⁷⁰⁾.

تقدم النقيب ميلو بقواته باتجاه كانم في يوم 1901/11/9م واصطدم مع الحركة السنوسية في بئر علالي بقيادة غيث بن عبد الجليل وبعد معركة عنيفة قتل النقيب ميلو وعدد كبير من جنوده وانهزموا شر هزيمة، وقد وصف أحد الضباط الفرنسيين الذين اشتركوا في هذه المعركة حالة الجنود الهاربين من المعركة، وهو النقيب (بوبار) بقوله: (لقد جعل العطش الجنود الفرنسيين كالمجانين يتجاذبون في الآنية، وتركوا جثة النقيب ميلو فاخترقوا الجواد الذي يحمل الجثة ولم نجده إلا بعد شهر ونصف)⁽⁷¹⁾.

زرعت هذه الحالة الخوف والرعب في نفوس الجنود الفرنسيين، وأصيب العقيد ديستاف القائد العام للقوات الفرنسية ومفوض الحكومة بالصدمة من جراء الهزيمة المدوية، واستسلم للمرض الشديد، مما اضطره إلى العودة إلى فورت لامي، وترك القيادة للقائد تيتار، فوجد الفرنسيون أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في تشاد في صراع مع عدو قد يكون أقل مهارة من رابع على المستوى العسكري، ولكنه عدو أكثر ضراوة على المستويين النفسي والتضحية، عدو يشعر بالعزة والطمأنينة وهو يدافع عن مبادئه وأرضه ومصالحه القومية، مما جعل المقاومة شديدة في الجبهة الشمالية والشرقية علي حد سواء⁽⁷²⁾.

ب- سقوط بئر علالي في أيدي القوات الفرنسية:

في صبيحة يوم 20 يناير 1902م عند الساعة التاسعة بدأت القوات الفرنسية هجوماً مكثفاً على زاوية بئر علالي في كانم وكانت معركة شرسة استبسلت فيها المقاومة بقيادة البراني واستمرت

المعركة زهاء ثلاث ساعات متواصلة تكبد فيها الجانبان خسائر فادحة، وبعد مقاومة عنيفة تمكن الفرنسيون من الاستيلاء على الزاوية، واستشهد الكثير من المجاهدين مما دفع زعيم الحركة أحمد الشريف إلى استبدال محمد البراني الساعدي بمحمد بوعقيلة الزوي، وتولى البراني قيادة عين جلكة في شمال تشاد، فنظم بوعقيلة الجيش لاستعادة زاوية بئر علالي، فشن هجوماً مباغتاً على الفرنسيين بتاريخ 1902/2/4م ولكن القوات الفرنسية تصدت له وأجبرت قواته على التراجع، وعادوا الهجوم في اليوم الثاني، وجرت معركة طاحنة في كلا الطرفين وبلغ عدد قتلى الحركة السنوسية ثمانين قتيلاً من بينهم قائدهم محمد بوعقيلة⁽⁷³⁾.

يذكر القائد فوكي أحد الضباط الفرنسيين المشاركين في المعركة أن عدد قتلى رجال المقاومة بلغ 150 قتيلاً، و12 من القوات الفرنسية، و 15 جريحاً. ويذهب ديستاف في تقريره عن المعركة بأن عدد القتلى من القوات المقاومة ما بين 200 300- قتيلاً⁽⁷⁴⁾.

قد يكون هذا العدد ليس صحيحاً وإنما هو على سبيل الحرب الإعلامية والنفسية ورفع تقارير إلى الجهات الرسمية بهدف إضفاء صفة الانتصار على أنفسهم. وبعد سقوط بئر علالي على يد القوات الفرنسية انسحبت قوات الحركة السنوسية بقيادة محمد البراني الساعدي إلى منطقة منقا واتخذت من المرتفعات الرملية معسكراً لها على مقربة من مواقع القوات الفرنسية⁽⁷⁵⁾. ولم تجرؤ القوات الفرنسية بعد هذه المعارك التي دارت بينها وبين قوات الحركة السنوسية في كانم على التوغل نحو الشمال فقد انحصرت في إقليم كانم مدة خمس سنوات كاملة من عام 1902-1907م. وخلال هذه المدة واصلت قوات الحركة السنوسية مع القوات والوطنية هجماتها على القوات الفرنسية في كانم، إلا أنها اعتمدت في هجماتها على العمليات الليلية السريعة الخاطفة ففي عام 1904م قامت قوات الحركة السنوسية بهجوم على القوات الفرنسية في بئر علالي، واستولوا على بعض الجمال، التي كان الفرنسيون يستخدمونها في تنقلاتهم وفي نفس العام قام عبدالله الطوير بضربات ليلية موجعة ضد القوات الفرنسية في زقي⁽⁷⁶⁾.

لقد لعبت قوات المقاومة الوطنية بالتعاون مع قوات الحركة السنوسية في كانم دوراً كبيراً في تأخير احتلال منطقة بوركوانيدي في شمال تشاد خاصة، ومنطقة حوض بحيرة تشاد عامة، كما ساهمت المقاومة في رفع معنويات القوى الوطنية في منطقة وداي وفي مختلف مناطق تشاد الأخرى.

دعم الحركة السنوسية للمقاومة في وداي:

معركة وادي كجا 4/ يناير/1910:

أرادت القوات الفرنسية عزل السلطان دود مرة من أنصاره حتى لا تتمكن القوة المتحالفة ضد الاحتلال الفرنسي من التواصل فيما بينها، فتنبه السلطان دود مرة للمخطط الفرنسي بغرض عزله عن منطقة دارفور، فقام بهجوم مفاجئ على القوات الفرنسية الزاحفة نحو الشرق بالتنسيق ولمشاركة السلطان مع تاج الدين سلطان الجينية، فقام بهجوم مباغت على القوات الفرنسية الزاحفة نحو المواقع الدفاعية، وكانت القوات الفرنسية بقيادة النقيب فنشك فاصطدمت بقوات دود مرة المتحالفة مع تاج الدين بالقرب من وادي كجا في 4/ من يناير/1910م⁽⁷⁷⁾. وقتل في هذه

المعركة النقيب فنشك قائد العمليات العسكرية في منطقة وادي كجا والملازمين بيرا وويلاك، وباسير، والقيب برانجيومائة قناص وثمانين جندياً متعاوناً ونجا ثمانية جنود فقط من الفرنسيين والمتعاونين معهم ليصلوا إلى أبشة ويبلغوا بالهزيمة النكراء التي منيوا بها⁽⁷⁸⁾. وقد كان لهذه الهزيمة صدى هائلاً في فرنسا حتى دفعت بالبرلمان الفرنسي إلى التصويت بالموافقة على الاعتمادات المالية اللازمة لتدعيم القوات الفرنسية في حوض بحيرة تشاد، حيث فارتفع عدد أفراد القوات الفرنسية في تشاد من 1200-1800 موزعين على كتيبتين كل كتيبة مكونة من أربعة سرايا، وكان لهذه الهزيمة أثر إيجابي على المواطنين، وقوات دود مرة والسلطان تاج الدين، والحركة السنوسية، لأنها أول هزيمة كبيرة يتعرض لها الفرنسيون منذ مجيئهم إلى تشاد، ونتيجة لهذا الانتصار الذي حققته المقاومة، انضمت إليها كل من دار سلا ممثلة في شخصية السلطان بخيت، وعدد كبير من المواطنين، وقد بعث السلطان دود مرة ممثل الحركة السنوسية كمبعوث إلى السلطان علي دينار ليتوسط لهم في حل الخلافات بينهم والتعاون ضد الغزو الفرنسي لأراضيهم، فوصل محمد السني إلى الفاشر وحصل على المصالحة بين دود مرة وعلي دينار⁽⁷⁹⁾. تحت رعاية الحركة السنوسية وضمانتها فاشتركت قوات علي دينار مع قوات دود مرة وتاج الدين، وسيطرت على منطقة دار تاما إلا أن أسلحتهم كانت بدائية في مواجهة الترسانة الفرنسية، لذا تمكن النقيب شافلو والملازم حاميل من التصدي لقوات المقاومة في 7 من أبريل في وادي قريدا⁽⁸⁰⁾. وفي 8 من أبريل تمكن شافلو من إخراج دود مرة من المدرج الصخري بكبقا، الذي كان يحتمي به، فاشتدت المعارك بين الفرنسيين والمقاومة في دار المساليت، مما جعل المقدم مول يطلب من الحاكم العام الفرنسي في برازا فيلالمساعدة فتوجه الحاكم العام بنفسه إلى دار مساليت على رأس 300 جندي ومدفعين لوقف المقاومة التي اشتدت وطأتها عليهم وذلك بوقوف السلطان علي دينار، والسلطان تاج الدين، مع المقاومة التشادية يدعم لوجستي من الحركة السنوسية ومباركة من الدولة العثمانية⁽⁸¹⁾.

اتجاه الفرنسيين نحو الشمال مرة أخرى بعد استسلام دود مرة:

في أثناء مواجهة القوات الفرنسية مع المقاومة في وادي غزت القوات الفرنسية الطرف عن تواجد الحركة السنوسية في دار كوتي بقيادة محمد السني بسبب حشد كل قواتها وتركيزها على القضاء على المقاومة في وادي، وفي تلك الأثناء نجح السيد محمد السني قائد الحركة السنوسية في دار كوتي في تشكيل جيش قوي وأخذ يهاجم القوات الفرنسية إلى جانب السلطان دود مرة والسلطان تاج الدين والسلطان علي دينار، فقرر النقيب مودي قائد حامية أنديلا الهجوم عليه في فبراير 1911م، وبعد معارك ضارية قتل محمد السني وابنه آدم ومحمد حفيد رابع المتبقي وأربعة من رؤساء الفرق العسكرية وحوالي مئتي جندي⁽⁸²⁾.

بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها أبو عقيلة لاستعادة بئر علالي انسحبت قوات الحركة السنوسية بقيادة محمد البراني الساعدي من كانم باتجاه بركو حيث استقرت في زاوية عين جلركة شمال غرب فايا، وشرع البراني في إعادة تنظيم المقاومة وقسمها إلى عدة زوايا.

– زاوية بسكرة بقيادة صالح بوكريم وتتكون من المجابرة والقاذفة والقرعان وأولاد سليمان والورفلة.

– زاوية عين جلجة بقيادة محمد البراني الساعدي وتتكون من المجابرة الزوية القرعان والطوارق.

– زاوية فايا مكونة من القرعان وبعض القبائل الأخرى بقيادة عبد الله الطوير.

وكانت هذه الزوايا كلها بقيادة أحمد الشريف الزعيم الجديد للحركة السنوسية، وتدار عن طريق مستشاره أحمد الريفي وبهذه الفرق استطاعت السنوسية تنظيم صفوفها، وقد اختارت أسلوب حرب العصابات لاستنزاف القوات الفرنسية، إذ رأت أن المواجهة المباشرة لا تنفع مع القوات الفرنسية التي تمتلك ترسانة قوية وبهذه الطريقة زرعت الخوف والرعب في نفوس الفرنسيين⁽⁸³⁾.

موقف الدولة العثمانية من دعم السنوسية للمقاومة في تشاد ضد الفرنسيين:

كان للدولة العثمانية علاقات مع ممالك السودان الأوسط قبل مجيء المستعمر الفرنسي، وكان لها سفير في مملكة وداي يسكن بمدينة أبشة، ويوجد حي يسمى باسمهم وهو (حي جنينة ترك أي حديقة الأتراك)، وكانت الدولة العثمانية قبل احتلال فرنسا لتونس عام 1881م قد اتخذت الإجراءات اللازمة للتوسع نحو شمال تشاد حتى تضمن التواصل مع ممالك وسط أفريقيا وتضع حداً للنفوذ الفرنسي في المنطقة، كما قام يوسف باشا القارمنلي بمحاولة دبلوماسية وعسكرية بغرض التوسع نحو منطقة السودان الأوسط بمطاردة بعض القبائل التي كانت خارج إطار سيطرته إلا أن محاولته باءت بالفشل، كما أن أحمد الشريف زعيم الحركة السنوسية قد اصطدم مع الدولة العثمانية أكثر من مرة بالذات مع الحزب التركي الجديد (تركيا الفتاة) الذي تولى الإدارة العثمانية في ليبيا في تلك الفترة، ولكن أحمد الشريف أدرك بأن الوقت قد حان لتسوية الخلافات بين الدولة العثمانية لتقف معهم في حربهم ضد فرنسا⁽⁸⁴⁾. فأرسل وفداً إلى إسطنبول ليؤكد ولاءه للسلطان العثماني كما قام بالتواصل مع المسؤولين الأتراك في ليبيا بضرورة التدخل إلى جانب الحركة السنوسية في حروبها ضد القوات الفرنسية في تشاد ومدعمهم بالمؤن والعتاد⁽⁸⁵⁾.

كانت فرنسا على علم بوقوف المسؤولين الأتراك في ليبيا خلف المقاومة في وداي عن طريق الحركة السنوسية، فأرسلت الحكومة الفرنسية رسالة احتجاج لدى الباب العالي في إسطنبول تشتكي فيها بأن الليبيين من رعايا الدولة العثمانية، أعانوا السلطان دود مرة سلطان وداي في حربه ضد الحكومة الفرنسية، وصرحت الحكومة الفرنسية بأن (417) عريباً هم الذين قاموا بالمساعدة في الهجوم على القوات الفرنسية في قرية دروتي عام 1910م، وقتلوا المقدم مول قائد قوات الحملة الفرنسية، وحاكم أراضي تشاد وقواته، وأن المهاجمين تدربوا في طرابلس وبنغازي وتجمعوا في الأراضي العثمانية على بعد 150 متراً عن طريق مرزق بمعرفة متصرف فزان وطلبت الحكومة الفرنسية من الباب العالي المعلومات اللازمة لمعاقبتهم، فصرح الباب العالي بأن إدخال السلاح كان ممنوعاً، وأن السلاح الذي استخدم في وداي هو سلاح فرنسي، وأن فرنسا لم تتمكن من منع تهريب سلاحها فيجب عليها البحث عن الذي هرب السلاح إلى المقاومة في وداي ومحاسبته⁽⁸⁶⁾.

الخاتمة:

أن الصلات الليبية التشادية صلات قديمة ترجع إلى عصور تاريخية سحيقة، وعلى الرغم من وجود الصحراء التي شكلت حاجزا طبيعياً بين شمال أفريقيا، وأفريقيا جنوب الصحراء إلا أنها لم تقف حائلاً يمنع التواصل بين البلدين.

ازدادت هذه العلاقات بين الإقليمين متانة ورسوخاً بعد انتشار الإسلام في الشمال الأفريقي ومنه انتقل إلى منطقة كوار في السودان الأوسط في وقت مبكر من بدء الدعوة الإسلامية، وقد اجتازت القوافل الصحراء الأفريقية جيئة وذهاباً تحمل السلع والبضائع إلى منطقة حوض بحيرة تشاد. وفي القرن التاسع عشر هاجرت بعض القبائل الليبية واستقرت في الشمال التشادي في منطقة كانم، وكانت هجرات هذه القبائل نتيجة لسوء الإدارة العثمانية التي حكمت ليبيا في ذلك الوقت واستخدامها الشدة مع هذه القبائل في جميع الضرائب وقد تداخلت هذه القبائل انصهرت مع القبائل التشادية ولما تأسست الحركة السنوسية في ليبيا وانتقلت إلى تشاد نتيجة لبعض العوامل والظروف، واتخذت من منطقة قور في الشمال التشادي مركزاً لها كانت هذه القبائل المهاجرة خير معين وسند لها في نشر الدعوة الإسلامية وانتشرت الزوايا السنوسية في منطقة الشمال التشادي تنشر الوعي الديني، وتحفر الآبار، وتقدم الخدمات للناس، وبعد مجيء الاستعمار الفرنسي إلى منطقة تشاد وقفت هذه القبائل ضد التوغل الفرنسي في البلاد وقاومته وخاضت عدة معارك ضده جنباً إلى جنب مع المواطنين التشاديين.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

- إن انتقال الحركة السنوسية إلى الشمال التشادي لم يأت من فراغ، وإنما لمعرفتها بوجود المهاجرين الليبيين في تشاد الذين وصلوا في مراحل مختلفة حسب الظروف التي دفعتهم للهجرة، واختلاطهم بالسكان المحليين، ومن أهم القبائل التي هاجرت إلى حوض بحيرة تشاد قبيلة أولاد سليمان، والورقلة، والمغاربة، والزوية، والمجابهة، والقذافة، وغيرها من القبائل الذين استقر بهم المقام في مختلف مناطق تشاد، وعندما جاءت السنوسية في بادئ أمرها وجدت هذه القبائل واعتمدت عليها في مواجهتها للاستعمار الفرنسي.
- استطاعت الحركة السنوسية أن تربط بين شعوب أفريقيا جنوب الصحراء وشمالها، وقطعت الحواجز الطبيعية بتعمير الصحراء الواقعة بين المنطقتين بإقامتها للزوايا وتعميرها للأرض بالمزارع والعمران.
- استطاعت الحركة السنوسية توحيد جهود المقاومة الوطنية للوقوف في وجه المستعمر الفرنسي بالتنسيق بين مملكة وداي والمقاومة في كانم ومملكة دارفور وسلطنة المساليت.
- نجحت الحركة السنوسية في تأخير احتلال الفرنسيين للأراضي التشادية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.
- دعمت الحركة السنوسية المقاومة الوطنية بالسلاح وبالرجال في كل من كانم ووداي ومساعدتها لنجل رابع.

– وحدت الحركة السنوسية القبائل الليبية المتناحرة بسبب الثأر والخلافات الشخصية من أجل الوقوف في وجه المستعمر الفرنسي كما حدث بين القبائل العربية في كانم.

التوصيات:

– إجراء المزيد من الدراسات حول دور القبائل الليبية التي هاجرت إلى تشاد في التصدي للزحف الفرنسي وتوغله في الأراضي التشادية في ضوء الوثائق الفرنسية التي لم يتيسر للدراسة الحصول عليها.

– إجراء دراسة ميدانية عن الواقع المعاصر لهذه القبائل الليبية التي لا تزال حتى تاريخ اليوم تنتشر في الشمال التشادي وبعض المناطق الأخرى ومدى مساهمتها في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية في تشاد.

الهوامش:

- (1) محمد الأمين حسين رماد، دور الليبيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد ١٨٩٩-١٩١٣م بحث مقدم لنيل درجة دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ والحضارة، جامعة الملك فيصل عام ٢٠٠٠م غير منشور ص 9.
- (2) عبد الرحمن عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل دار الثقافة والإعلام ١٩٩٩م ص 65.
- (3) محمد الأمين رماد مرجع سبق ذكره ص ١٢.
- (4) المرجع نفسه ص 12.
- (5) المرجع نفسه ص ١٢.
- (6) المرجع نفسه، ص 56.
- (7) عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، دار الثقافة والإعلام بنغازي، ١٩٩٠م ط ١ ص ٤٧.
- (8) محمد الأمين رماد مرجع سبق ذكره ص ٢٣.
- (9) عبد الرحمن عمر الماحي (تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال)، ص ١.
- (10) محمد الأمين رماد مرجع سابق ص ٢٣.
- (11) سعيد عبد الرحمن الحنديري: تطور الحياة السياسية في تشاد، ص ٢٠-٢١.
- (12) المرجع نفسه ص 56.
- (13) الشيخ محمد بن عمر التونسي، رحلة إلى ودائي، تحقيق عبد الباقي محمد أحمد كبير، دار مناكب، الطبعة الأولى 2001م، ص 94، ٢١٩-٢٢٣.
- (14) سعيد عبد الرحمن الحنديري، تطور الحياة السياسية، المرجع السابق ه ص ٦٠.
- (15) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (16) المرجع نفسه، ص 60.
- (17) المرجع نفسه ص ٦٢-٦٣.
- (18) المرجع نفسه، ص 62-63.
- (19) نفس المرجع ص ١٧-١٨.
- (20) محمد امين حسين رماد: دور الليبيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد (١٨٩٩-١٩١٣م)، مرجع سبق ذكره ٢٥ وما بعدها.
- (21) سعيد عبد الرحمن الحنديري: تطور الحياة السياسية في تشاد، مرجع سبق ذكره ص ١٨-١٩.
- (22) المرجع نفسه، ص ١٨.
- (23) محمد بن عثمان الحشائشي التونسي، رحلة الحشائشي إلى ليبيا، ١٨٩٥م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ١٨٥٥-١٩١٢م) تقديم وتحقيق على مصطفى المصراحي، دار لبنان للطباعة والنشر ص ١٣٧.

- (24) ماهر عطية شعبان، أفريقيات دراسات وبحوث في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية ٢٠١٣م، القاهرة ص ٢٤٩.
- (25) سعيد عبد الرحمن الحنديري، تطور الحياة السياسية، مرجع سبق ذكره ص ٢٣.
- (26) المرجع نفسه ص 23.
- (27) المرجع نفسه ص ٢٤.
- (28) المرجع نفسه ص ٢٥.
- (29) علي محمد الصلاي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٤، ٢٠١١م ص ٢١.
- (30) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٢.
- (31) علي محمد الصلاي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا المرجع السابق ص ٢١.
- (32) المرجع نفسه ص ٢٢.
- (33) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٢.
- (34) علي محمد الصلاي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا المرجع السابق ص ٢٣.
- (35) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، ١٩٤٨م ص ١٣-١٤.
- (36) الثمار الزكية للحركة السنوسية مصدر سابق ص ٢٤.
- (37) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٤.
- (38) تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا مرجع سبق ذكره ص ٢٤-٢٥.
- (39) المرجع نفسه، ص 25.
- (40) الثمار الزكية للحركة السنوسية، ص 31.
- (41) الصلاي، الفوائد الجليلة للحركة السنوسية، ص 13.
- (42) المرجع نفسه ص ١٣.
- (43) القره مانلي: كان وزيرًا وقبطانًا للأسطول العثماني عاش في الفترة ما بين ١٦٠٤ - ١٦٤٦م.
- (44) الفوائد الجليلة للحركة السنوسية ص 14.
- (45) علي محمد الصلاي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا المرجع السابق ص 21.
- (46) المرجع نفسه ص ٣٠.
- (47) الثمار الزكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٢٥.
- (48) علي محمد الصلاي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص 570.
- (49) علي محمد الصلاي، الثمار الزكية للحركة السنوسية، مرجع سبق ذكره ص ٣٩ - ٤٠.
- (50) علي محمد الصلاي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، مرجع سبق ذكره ص ٢٤.
- (51) علي محمد الصلاي، الثمار الزكية للحركة السنوسية، ص ٤٠.
- (52) علي محمد الصلاي، تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، ص ٤١-٤٢.
- (53) تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا مرجع سبق ذكره ص ٣٨.

- (54) الثمار الذكية للحركة السنوسية، المرجع السابق ص ٤٣.
- (55) السيد يوسف، فجر الحركة الإسلامية المعاصرة (الوهابية - السنوسية - المهديّة)، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م ط ١، ص ٦٠.
- (56) المرجع نفسه، ص ٦٠.
- (57) الثمار الذكية للحركة السنوسية مرجع سبق ذكره ص ٤٨.
- (58) علي محمد الصلاي تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا، مرجع سبق ذكره ص ٥٠.
- (59) المرجع نفسه ص ٤٩ - ٥٣.
- (60) تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا مرجع سبق ذكره ص ٥١ - ٥٤.
- (61) الثمار الذكية للحركة السنوسية، مرجع سبق ذكره ص ٦٨.
- (62) محمد أمين حسين رماد، دورا لليبيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد، ص ٤٨.
- (63) المرجع نفسه ص ٢٤٠ - ٢٤٣.
- (64) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، مركز الدراسات الليبية، 2005م، ص 12.
- (65) علي محمد الصلاي: الثمار الزكية للحركة الزكية، مرجع سبق ذكره، ص 251.
- (66) محمد أمين حسين رماد: دور الليبيّين في مقاومة الاستعمار الفرنسي، مرجع سبق ذكره، ص 50.
- (67) محمد أمين حسين رماد: دور الليبيّين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد، مرجع سبق ذكره، ص 63.
- (68) سعيد عبدالرحمن الحنديري: العلاقات الليبية التشادية، مرجع سبق ذكره ص 82.
- (69) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص 95.
- (70) محمد أمين حسين رماد: دور الليبيّين في مقاومة الاحتلال الفرنسي في تشاد، مصدر سبق ذكره، ص 67.
- (71) المرجع نفسه، ص 68.
- (72) المرجع نفسه ص ٦٨.
- (73) عبدالرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص 47.
- (74) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية مرجع سبق ذكره، ص 101.
- (75) المرجع نفسه، ص ١٠١.
- (76) سعيد عبدالرحمن الحنديري: العلاقات الليبية التشادية، مرجع سبق ذكره، ص 83.
- (77) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص 102.
- (78) مقالة للحاج قارونديجارمة مترجمة من محمد الهادي عبدالرحيم بعنوان: مقاومة السلطان دود مرة للفرنسيين، جريدة أنجمينا الجديدة، العدد 42 السنة 2009م، ص 10.
- (79) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد (1894-1920)، مرجع سبق ذكره ص 75.
- (80) الطيب إدريس حلولو: المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد (1894-1920)، مرجع سبق ذكره ص 75.

- (81) محمد الهادي عبد الرحيم: مقاومة السلطان دود مرة للفرنسيين، جريدة أنجمينا الجديدة، العدد 42 السنة 2009م.
- (82) عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص 14.
- (83) المرجع نفسه، ص 146.
- (84) الطيب إدريس حلولو مرجع سبق ذكره ص ٨٥.
- (85) ماهر عطية شعبان، افريقيات: دراسات وبحوث في التاريخ الافريقي الحديث و المعاصر، ص 290.
- (86) المرجع نفسه، ص 290.
- (87) المرجع نفسه، ص 291.